النموذج الأول
نموذج الطعن والإساءة والتشكيك فى الإسلام

واللافت للانتباه غلبة هذا النموذج على الصورة المرسومة عن الإسلام فـــى الذهنية الغربيـــة وواقع التعامل، حتى يعطـــى الانطباع لمن يوالى المبثوث والمنشور عبر هذه الشـــبكة العالمية أنه المتربع وحده الطاغى علـــى كافة جوانب الصـــورة، حتى ليتوارى ما ســـواه ويخبو ولا يحتل غيره فى مجمل الصورة إلا جانبا هامشـــيا ومكانا قصيا قد يجعل الناظر يتجاوزه ويعزف عنه. ومظهر هذا النموذج وتجلياته تسطع فى بعض ما يعرض على الشبكة وفى وسائل الإعلام، من بينها:

١ - موقف البابا واتهامه الإسلام بأنه دين العنف والسيف

جاءت مواقف البابا بنديكت الســـادس عشـــر من الإسلام، فى إطار محاضرة عن اللاهوت المســـيحى ألقاها فى جمع من الطلبة فى إحدى الجامعات الألمانية، وفى سياقها ذكر كلاما مؤداه: أن المسيحية ترتكز على مبادئ العقل والحب، فى حين أن الإسلام انتشر بحد السيف مما يسفر الطابع العنيف للإسلام[1].

ومقولـــة البابا وهو رمز الكنيســـة الكاثولكية فـــى العالم، تصب فى مربع إظهار الإســـلام بالدين العدوانى، الرافض للسلم العالمى والتسامح الإنســـانى وأنه دين قام علـــى الإكراه والإجبار، ولا يعتـــرف بالاقتناع

(1) Http://www.aljazeera.net/portal/templates/postings/pocketpcDetailedPage.aspx3 13 \ 11 \ 2008.P.1

والاختيـــار، وهـــو ما يتناقض مـــع نصوص محكمـــة وصريحة لا مجال لتأويلها أو الالتفاف على منطوقها. كما أن فى تلك المقولة للبابا استدعاء للغة الصدام، واســـتحضار للموروث التاريخى بشـــكل انتقائى، إذ يبدو وكأنه يتجاهل حقائق التاريخ ومنزع المدرسة العقلية فى علم الكلام التى أسســـها المعتزلة والفلاسفة المسلمين من أمثال ابن رشد والفارابى وابن سينا وغيرهم.

ومن بين الرموز التى أسســـت هذا التوجـــه الخاطىء والصدامى عن الإسلام الأب بيار المهيب الذى على الرغم من أنه كان وراء أول ترجمة للقـــرآن الكريم إلى اللاتينية ســـنة ١٤٣م، إلا أنه علق عليها من خلال رســـالة بعنوان: «الأدلة على الهرطقة المحمدية البغيضة والمدمرة». وقد ورد فى هذه الترجمة رســـم متخيل لصورة نبى الإســـلام يســـتوحى من خلاله أن مبادئ هذه الديانة أن تكون أفكار شيطانية. وهو تدشين لفكر مسيئ ومشوه واغتيال لشخصية الرسول الكريم، وطعن فى رسالة الإسلام وعطائه الدينى والإنسانى.

وفى سياق متصل فقد حمل العديد من المستشرقين ذوى التوجه فى تكريس فكر النعى على الإســـلام، وهـــدم منظومته العقدية والحضارية، وموقف البعض أشهر من أن ينكر.

ولم ينحصر هذا الفكر على الباحثين والدارسين للإسلام، وإنما رسخ ذلك التوجه الإعلام الغربى الذى لا يفتأ أن يرســـم صورة مقيتة للإسلام والمســـلمين فى عالم اليوم، إذ يختزل الإسلام فى كونه الدين العنيف، الرجعى، والمتعصب ولا يعدو أن يظهر المسلمين بأنهم جمهور المصلين

ذوى اللحى الكثيفة، والحجاب رمز القهر والاستبداد، وتقديم المسلمين على أنهم أشخاص مدججين بالسلاح يزرعون الموت فى كل مكان، وأنهم صناع القتل أينما ذهبوا، وهو الملمح البارز والصورة الذهنية المرسومة عن الإسلام والمسلمين فى الأبواق الغربية.

٢ - التشكيك فى صحة الوحى القرآنى

بالادعاء بأن لمحمد الرسول ﷺ مصدرين للوحى جبريل والشيطان، فالشيطان يوحى لمحمد بآيات صباحا، يصححها له جبريل مساء[1].

ويستشهد أصحاب هذا الزعم بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [سورة الحج: الآية ٥٢].

وتفسير الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول» هو نبى أمر بالتبليغ «ولا نبى» أى لم يؤمر بالتبليغ «إلا إذا تمنى» قرأ «ألقى الشيطان فى أمنيته» قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبى ﷺ فى سورة النجم بمجلس من قريش بعد: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: تلك الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن لترتجى، ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن فسلى بهذه الآية ليطمئن «فَيَنسَخُ ٱللَّهُ» يبطل «مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ» يثبتها «وَٱللَّهُ عَلِيمٌ» بإلقاء الشيطان ما ذكر «حكيم» فى تمكينه منه يفعل ما يشاء.

(1) Http:\\ el7ad. com\smf\index\php\topic,20399.msg219766.html

وهذا الادعاء مردود على قائله بأن الشيطان كان يوحى لمحمد صلوات الله عليه – ساقط ويناقض الثابت فى محكم آيات القرآن الكريم، فى العديد من النصوص نورد منها، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ – ١٩٤]. ويجمع المفسرون على أن الروح الأمين هو جبريل عليه السلام.

وبقوله سبحانه فى سورة النجم التى يتمحل بها المدعون، على الوحى الشيطانى المزعوم، ردا على كل فرية فى مستهل السورة، بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم: الآيات ١–٥]. فإن الرسول قد عصمه الله بالوحى، فلا يقول فى القرآن كلاما من عند نفسه.

فالذى علم الرسول ﷺ هو جبريل عليه السلام، فالرسول لا يتكلم عن هوى نفسى ورأى شخصى، وإنما يتكلم عن وحى من الله عز وجل، قل البيضاوى: أى ما القرآن إلا وحى يوحيه الله إليه، ومعنى: "عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ" أى علمه القرآن ملك شديد قواه وهو جبريل الأمين[1].

والثابت المقطوع به أن أحدا من المفسرين لم يقل بأن الشيطان كان يوحى للنبى فى أى وقت، إذ لم يحدث ذلك لا صباحا ولا مساء ولا ليلا ولا نهارا، وهذا ما نفاه ابن كثير، بإيراده سؤالا: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله صلوات الله عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها: أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ، وليس كذلك فى نفس الأمر،

(١) الصابونى، صفوة التفاسير، تفسير سورة النجم، ص ١٤٣٥.

بل إنما كان من صنيع الشيطان لا من رسول الرحمن ﷺ.[1]

٣ - فيلم فتنة المنتقد للإسلام

نشر فيلدرز رئيس حزب الحرية اليميني الهولندى فيلما قصيرا عن الإسلام، يضع فى المشاهد الافتتاحية منه نسخة من القرآن تتبعها لقطات من الهجمات التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى ١١ سيبتمر (أيلول) ٢٠٠١م[2].

ويظهر الفيلم كذلك صورة لامرأة تتعرض للرجم، ومشاهد من عملية قطع رأس شخص وصورا للمخرج الهولندى فان جوخ الذى قتل على يد مسلم يحمل الجنسيتين الهولندية والمغربية عام ٢٠٠٤م.

وفى ذات السياق يحتوى الفيلم على مشاهد تصور متظاهرين مسلمين وهم يرفعون لافتات كتب عليها: «فليرحم الله هتلر» و «فلتذهب الحرية إلى الجحيم».

كما يعرض الفيلم صورة طفلة مسلمة ترتدى غطاء الرأس، وهى تقول: «إنها تكره اليهود».

ويقدم الفيلم مشاهد ورسوما بيانية تظهر تزايد عدد المسلمين فى هولندا وأوربا.

وفى نهاية الفيلم يظهر شخص يقلب صفحات نسخة من القرآن ثم يتلو ذلك صوت مدو لاقتطاع شيء ما. ويسمع الصوت المصاحب للصور بالقول: الصوت الذى سمعتموه هو صوت صفحة مقتطعة من دليل

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، سورة الحج، ص ٤٤٠.

(2) Http:\\news. bbc. com. uk\hi\arabic\world_ news.

هاتف.. لا يتوقف الأمر على ذلك، وإنما على المسلمين أنفسهم لاقتطاع الآيات التى تدعو إلى الكراهية من القرآن.

وآخر مقطع فى الفيلم هو: أوقفوا الأسلمة. دافعوا عن الحرية. وتجدر الإشارة إلى أن صحيفة سباتيس الهولندية، نقلت عن فليدرز قوله: إنه سوف يسافر للخارج لتشكيل التحالف الدولى للسلام ومعاداة الأسلمة[1].

ويلاحظ على الفيلم أنه يقدم شكلا آخر من أشكال الإساءة للإسلام ارتباط القرآن كتاب الإسلام ودستوره مقترنا بالتفجيرات والأعمال الإرهابية، وأنه دين قاس يعاقب بالقتل من يمارس حريته وحياته الشخصية. فضلا عن أن الإسلام دين الكراهية يضاد الحرية ويضيق ذرعا بالنقد ولا يحتمل وجود الآخر، ويغرس فى أتباعه الكراهية له، والخوف منه.

وما جاء به الفيلم مردود على صاحبه بأنه شاهد على كراهية الإسلام ودليل تمييز وتعصب ضد مقدس من مقدسات الإسلام وهو القرآن، لما ينطوى عليه من إهانة وإساءة. وتقديم تفسيرات لبعض مقاطع من آيات القرآن الكريم بصور مفجعة معزولة عن سياقها، فى الوقت الذى يغفل تماما نصوص القرآن التى تتحدث عن السلام وتدعوا إليه، وهو ما يكشف عن تفسيرات تحكمية، ومقاصد عدوانية مفضوحة تهدف إلى النيل من الإسلام وأتباعه. ومثل هذا المسلك فى ربط بعض الآيات بالأحداث التى وقعت مثل من يركب رأس على جسم غريب.

ونذكر فى هذا الصدد أن الإساءة إلى السامية اعتبرت جريمة دولية يتهم فيها المرتكب لها بأنه معاد للسامية. فلم يتجه الغرب إلى تجريم يحرم إهانة السامية وتشويه صورتها، وفى الوقت نفسه يستبيح الإسلام

(1) Http://www. moheet. com. /newsprint.aspx?nid= 198904.

بمقدساته، ويطعن فيه بغير حجة ولا سند، وهو ما يجعل من ازدواجية المعايير حقيقة واقعة.

٤ - الطعن فى شخصية الرسول ﷺ والسنة المطهرة

فى سياق التشوية والتشـــهير بشخص النبى محمد ﷺ وتأكيدا على أســـلوب المغالطة والتصيد ومسلسل الكيد والإســـاءة والتشكيك، تنبرى بعض المواقع للنيل من الرســـول والرســـالة، وهو ما تكشف عنه وصف الرسول ﷺ بالأوصاف الآتية[1]:

أ - الاتهام بالنفاق

مداراة الرســـول لمن يتقى فحشـــه. فقد ورد فى كتاب البر والصلة والآداب صحيح مســـلم: عن ابن عيينة واللفظ لزهير، قال حدثنا سفيان وهو ابن عيينة عن ابن المنكدر سمع عروة بن الزبير يقول حدثتنى عائشة: أن رجلا استأذن على النبى ﷺ فقال: ائذنوا له، فلبئس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة، فلما دخل عليه ألان له القول، قالت عائشة، فقلت يا رسول الله، قلت له الذى قلت ثم ألنت له القول. قال يا عائشة: إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه.

ويعلق الدعى الموتور على الحديث بالقول: نلاحظ التصنيف أنه فى الأدب أى أن الأدب الذى ينبغى أن تتأدب به.

دعنا نشارك عائشة تعجبها من الأدب النبوى.

الرجل عيينة بن حصن يستأذن، فلماذا شتمه النبى ثم ألان له الكلام؟ اتقاء لفحشه!!!

---

(1) wahoo wahoo<wahoo_wahoo@yahoo.fr>.23\11\2008.

واعجباه وهل يخاف النبى فى الحق لومة لائم؟

هل هذا الذى واجه كفار قريش، وقال: لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى؟

هل هذا هو نفسه الذى قال: أنا النبى لا كذب؟

وهو نفسه الذى قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

نعم هو بعينه ولا استغراب يا عائشة.

لكن ما هو الفحش الذى قام به عيينة بن حصن واتقاه النبى؟

لايعرف أحدا.

مـا هو الفحش الـذى يجعل النبى يلين له الكلام فى حضوره؟ ليس مهما أين دعوة النبى له كرسول من الله لنبذ الفحش.

أليس مسئولا عن إبلاغ الفاحش أن ما يفعله حرام؟

أم أن الدعوة كانت خاصة بالناس الطيبين.

الحديث لا يقرر حكما عاما، وانما هو واقعة عين، تخص شـخصية عيينـة بن حصن، وهو من المعادين للإسـلام، بمن يكيدون له ويؤلبون ضد الرسـول ﷺ فقد كان مـن المؤلفة قلوبهم الذيـن وقفوا مع قبائلهم موقفا عدائيا، فهو يعلم ذلك جيدًا، ويعلم أن الإسـلام فرض لهم سهما فى الزكاة اتقاءً لشـرهم، وتأليفا لقلوبهم، فكان موقف الرسـول تجاهه ذات الموقف الذى يجمع بين استنكار تصرفه، وتحقيق مصلحة الاسلام والمسـلمين ولم يكن الرسـول ﷺ فى الموقف برمته إلا موقفا خاصا به يعلمه عيينة بن حصن، وهو تصرف اقتضته السياسة الشرعية، فهو من باب السياسة، دون أن ينال ذلك من خلق الرسول ولا من بغضه للنفاق

والمنافقيــن ومجاهرته بالحــق مهما كانت العواقب، وهــو مالم يتبينه أو يفقه معناه هذا الطاعن على رسول الإسلام.

ب - الاتهام بالفتيا بغير معرفة أو طلب

وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا: كتاب الفضائل. صحيح مسلم بشرح النووى.

قال أبو بكر حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة وعن ثابت، عن أنس: أن النبى ﷺ مر بقوم يلقحون النخل فقال: لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصا (وهو تمر ردئ) فمر بهم، فقال: ما لنخلكم. قالوا قلت كذا كذا. قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

هذا النبى يتطوع بالإفتاء فى موضوع لا يعلم عنه شيئا.

كما أن أحدا لم يطلب منه نصحا أو استشارة.

ثم يتبرأ من الموضوع، وكأن شيئا لم يكن.

ويقول: أنتم أعلم بشئون دنياكم. وكأنه لا يعلم هذا من البداية.

هل من أخلاق النبوة أن تتدخل فيما لا يعنيك؟؟

ألا يشــبه هذا بمن مر بمن يصلحون ســيارة معطلة، ثم أفتى بوضع قطع معينة، وعندما فسدت أكثر، قال: أنتم أعلم بما تفعلون!!

هــذه المزاعم التى ذكرها الناقد لا أســاس لها مــن الصحة، لأن ما أبداه الرسول ﷺ حول تأبير النخل ليس من قبيل الوحى وإنما هو رأى بشــرى فى قضية تقبــل الصواب والخطأ، ولا يعد من باب التشــريع، ودليلــه ما جاء فــى أحد روايــات الحديــث: انمــا ظننــت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن، وتكمن المشكلة فيما فهمه الأنصار من مقولة الرسول،

فقد اعتقدوا أنه وحى يتعين الالتزام به، ولم يتعاملوا معها على أنه رأى بشرى من باب الاجتهاد يجوز فيه الصواب والخطأ.

جـ - الاتهام بالتكاسل: والتخفف من الوضوء. صحيح البخارى

حديث معتمر بن سليمان التيمى، قال: أخبرنا حميد عن عبد الله بن عبيد عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: رأيت نبى الله ﷺ نام حتى نفخ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ.

حدثنا على بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان عن عمرو، قال: أخبرنى كريب عن ابن عباس أن النبى ﷺ نام حتى نفخ، ثم صلى وربما قال: اضطجع حتى نفخ ثم قام فصلى.

النبى هنا ينام ثم ينفخ ثم يقوم ولا يتوضأ، طبعا نبى ويعمل اللى يعجبه!!

ويرد على هذا الزعم: أن الراوى أطلق الحالة التى كان عليها الرسول ﷺ بالنوم، وليس المقصود به المعنى الحقيقى للنوم، وانما هى غفوة ألمت به، مصحوبة بنفخة، لم تبلغ حد النوم المعروف المزيل للطهارة أو الوضوء الذى يرفع بموجبه التكليف، فالنوم، يفقد فيه النائم القدرة فى السيطرة على حواسه وأعضائه فيستغرق فى نوم عميق، حتى يوصف بكونه الموتة الصغرى، كما أشار إليها قوله الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[سورة الزمر: الآية ٤٢].

ومما يؤيد أن هذه الحالة ليست نوما، ماورد فى الرواية الأخرى، من أن ما حدث لا يتعدى كونه اضطجاعا، وهو ما يختلف عن الوضع المراد

من النوم، فالمعيار فيه هو التحول من حالة اليقظة إلى حالة النوم، وزوال الإدراك والتحكم لدى الشخص النائم، وهو مالم يحدث من الرسول ﷺ.

د - الاتهام بعدم الالتزام بتوقيت الصلاة

حدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعوج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: [إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم]. المنتقى شرح موطأ مالك.

أمر النبي بالإبراد، وعلل ذلك بأن شـدة الحر من فيح جهنم. وذكر أن للنار نفسـين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، ولم يأمر بتأخير الصلاة في شـدة البرد فلا يتعلق به حكم التأخير، والأصل في ذلك ما رواه أبو خلدة عن أنس كان النبي ﷺ إذا اشتد البرد بكر بالصلاة، وإذا اشـتد الحر أبرد بالصلاة. ومن جهـة المعنى أنه لا رفق بتأخيرها، بل الرفـق في تقديمها، لأن بتأخيرها يزيد المانع من إتمامها بتزايد البرد. كما تمكن العشى وقرب الليل والله أعلم.

هذا الحبيب يظهر تكاسلا مع الحر فيؤجل الآذان أو يقدمه لابأس، حتى لا يصيبه الحر.

طبعا عند ذكر الحبيب في برنامجه الأصلي، لن تسمع هذا الكلام، بل ستسمع كلاما من عينة الثواب على قدر المشقة.

أو أن أحد الصحابة كان يأتي محمولا ولا يسنده الصف أو أن الأعمى لا عذر له مادام يسمع النداء.

أما الحبيب، فكان يؤخر الآذان ويصلي بغير وضوء.

الحديث بنص ما جاء فيه، لا يتضمن خصوصية للرسول ﷺ ويندرج

ضمن الرخص التى قررتها الشريعة بالنسبة للصلاة بصفة خاصة، والعبادات بصفة عامه، فإنه يرخص للمسلم جمع الصلاة والقصر فيها حال السفر والحرج والمشقة كما يجوز للمسلم الصلاة جالسا أو مضطجعا أو على جنبه الأيمن أو الأيسر بحسب احتماله وطاقته... إلخ. وكذا التيمم والمسح على الخفين وغيرها، فهذا تشريع مبنى على التيسير أو التخفيف أو رفع الحرج بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: الآية ٢٨]. وقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: الآية ٨٧]. وهذه الأسس الشرعية غابت عن الطاعن، مع ثبوتها وأصالة تشريعها، رفقا بالمسلم، ورعاية لأحوال الطقس خاصة فى الجزيره العربية، وغيرها من البلدان.

هـ - اتهامه فى أخلاقه الحربية

لن نتكلم عن أمور الزواج والنساء والسبايا التى اختص بها الله محمدا، ولكن سنلقى الضوء على وصاياه الأخلاقية:

روى أن رسول الله ﷺ أتى بنى النضير، فذكر القصة، قال: فسار إليهم فتحصنوا، فقطع رسول الله النخل وحرق، فنادوا حين رأوا النخل يقطع ويحرق: يا محمد: كنت تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخل وتحريقه؟ فكان فى أنفس المسلمين من ذلك شىء، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر: الآية ٥].

الراوى عبد الله بن أبى بكر، خلاصة الدرجة: أورده فى كتاب المراسيل المحدث أبو داوود. المصدر المراسيل، الصفحة أو الرقم ٤٠٥.

أين الأخلاق الحربية التى نسمع عنها؟

حتى اليهود ذكروه به.

فتدخل الله طبعا عند الزنقات بآية أوضح حكما لا تستغنى عنه أى أمة تريد وجه الله.

نزل جبريل بسرعة محملا بهذا الحكم القاطع المانع الجامع لأمور النخل واللين.

يغفل الطاعن أو يتغافل عما فعله يهود بنو النضير وهم من مواطن الدولة الإسلامية، فقد أهدروا واجب المواطنة فى الحفاظ على سلامة الوطن وحمايته من الأعداء المتربصين به، وهم كثر وعلى رأسهم مشركى قريش، فلم يكتفوا بإتخاذ موقف سلبى تجاه الوطن "المدينة المنورة" وإنما تآمروا مع الأعداء وحاكوا الدسائس والمؤامرات، وبلغ الأمر بهم إلى اعتبار أنفسهم دولة داخل الدولة، وأن محمدًا ﷺ غصب وطنهم، بالرغم من أنهم كانوا جزءاً من الدولة الإسلامية وتمتعوا فى صحيفة المدينة بحقوق المواطنة وفقا لقاعدة: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"

ثم انهم تحصنوا استقلالا عن الدولة وخروجا على نظامها العام، واتخذوا من النخيل والشجر سدًا منيعا يحول دون الوصول إليهم، فكيف يمكن التعامل مع نقض العهد وخيانة الوطن وإعلان الحرب إلا بكسر شوكتهم وإزالة تحصيناتهم!!!.

و - الاتهام بالأنانية:

كيف كان الرسول يتعامل مع أصحابه؟

سمعت عمر بن الخطاب يقول: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول

الله خالصا، فكان رسول الله ﷺ يعزل نفقة أهله سنة، ثم يجعل ما بقى فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله. صحيح الترمذى، الصفحة أو الرقم ١٧١٩.

لقد أخذها لنفسه خالصة دون المؤمنين مثله مثل جميع الدول المقهورة ثم يعطى منها الشعب ما يزيد عن حاجته وكأنه يتفضل عليهم بأخلاقه الكريمة. ما الفرق بينه وبين من يأخذ نصيبا من البترول الذى يخرج لمواطنى شعبه، ثم نسمع أن سمو الأمير الفلانى تبرع من جيبه الخاص لدعم كذا وكذا.

إنه حب الذات، وإلا من قال إن كل شىء يصبح ملكه؟ أليست فى سبيل الله.

وإلا من قال: كن فى الدنيا كعابر سبيل.

كيف ينكر هذا الطاعن مسلك الرسول ﷺ ويعتبر أن عزل نفقة أهله سنة من قبيل احتكار الثروة والاستئثار بالسلطة، بالنسبة لتصرفه فى أموال بنى النضير، ألم يتابع هذا الطاعن طريقة حياة الرسول وأهله فى المأكل والملبس والمسكن، وأن طعامه كان الخبز والتمر والماء، وملبسه وأهله حلة فى الصيف وحلة فى الشتاء، ومسكن لزوجاته، فمعيشته وأهله لا تتجاوز حد الكفاف، ولم يتغير هذا الوضع المعيشى وحصوله على الضروريات بعد أموال بنى النضير بل بعد فتح مكة، وأنه ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهدوى، فلم هذه المقارنة الظالمة بين تصرف الرسول، وبين تصرفات أى حاكم من حكام هذا الزمان أو أى زمان آخر، ناهيك عن أخذ نصيب من البترول، وهل نسى الطاعن عمولات وصفقات السلاح والرشاوى المالية والجنسية وما على شاكلتها

ممـا ابتدعه حكام ومسـئولى الغرب وأفسـدوا به حكام الشـرق ونهبوا ثروات العالم الإسلامى.

ومن نفس الأخلاق الحروب معاملته لهذا الأسير المسكين:

قال ابن إسحق: وأتى النبى بكنانة ابن الربيع بن أبى الحقيق، وكان عنده كنز بنى النضير، فسأله: فجحد أن يكون له علم بالكنز، فأتى النبى برجـل من يهود، فقال الرجل للنبى: إنى قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة. فقال النبى لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟ قـال: نعم. فأمر النبى بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقى، فأبى أن يؤديه. فأمر به الرسول الزبير بن العوام، فقال: عذبه حتى تسـتأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على الهلاك، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه.

ز - تعذيب الأسير حتى يقر بأملاكه وأمواله

لـن أقول أين الله الذى كان يخبره بما فعلت زوجاته ليخبره بمكان الكنز، ولن أقول أين جبريل الذى رأيناه منذ قليل ينزل مسـرعا بحكم الله فى قطع النخل.

لكن هل من شيم الأنبياء أن يعذبوا أسراهم ليعرفوا مكان الأموال والذهب.

هل يحترم الأسير الذى حفظ العهد؟

هل نعلم أن هذا الأسير كان زوج السيدة صفية أم المؤمنين؟

هل سألها النبى وعذبها هى الأخرى عن مكان الكنز؟

وما هو ذلك الكنز أساسا، أليس الله هو الرازق ذو الخزائن فما حاجة رسول الله للكنز، وهو الرحمة المهداه للعالمين[1].

(1) Http://el7ad.com/smf/index.php/topic,2668050.

تــرى ماذا يفعل النبى مع ابن أبــى الحقيق، وهو مصرّ على الكذب والخداع والتضليل، إلى درجة أنه يقبل أن يعاقب بالقتل لو ظهر كذبه وخداعــه، وتحقق كذبه ولم يجد معه أى وســيلة ســلمية للوقوف على الحقيقة، فلم تفلح وســائل الوعــد والوعيد، وبات مصمما على موقفه لا يتزلزل عنه، ولم لا يدين الطاعن بأســلوب المدنية الغربية فى التعامل مــع الخصوم والأعداء ولجوئها إلى كل الوســائل لبلــوغ غرضها وإيقاع التعذيب والقتل بمن وقف فى سبيل استنزاف واستعمار البلاد والعباد، واســتخدام أسلحة الدمار الشامل والأســلحة المحرمة دوليا لا لشئ إلا لإخضاع الشــعوب وإحكام السيطرة عليها، وقتل مواطنيها. ألم يقرأ هذا الموتــور من الإســلام وبنيه مقولة «توينبى»: "لم يعــرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب" وهى سنة النبى محمد صلوات الله عليه.

٥ - الإسلام بأيدولوجيته السياسية نقيض كل ما هو حضارى غربى

فقد أرســى الغرب فى مســيرته التنويرية العقلانيــة نظما تقدمية، وانتصر لحقوق الإنسان والشعوب فى مواجهة الكنيسة، ورجال الدين، والنــزاع المحتــدم بين الســلطة الزمنية والروحية، والتــى أفرزت فكر الديمقراطيــة والمواطنــة وحق مقاومة الطغيان، والفصل بين الســلطات التشــريعية والتنفيذية والقضائية.. إلــخ. وعلى حين يؤصل الغرب هذه المنظومة السياسية، يعكف على إشاعة الإسلام السياسى المناقض لكل ما هو غربى، فالخطاب الدينى أســير جماعات الاحتجاج السياســى، وهــو فكر الأصولية الإســلامية المتطرفة المعاديــة للديمقراطية. ويعطى هذا الفكر الشرعية لقتل المدرسين والكتاب الصحفيين والفنانين وكأنها

أفعال إســلامية أو تكتسب الشرعية الدينية من وجهة نظر الإسلام، بل ويعبر عن مدى كراهية الأصوليين للقيم الغربية. كما يظهر أفعال الكتابة والإبداع والتعليم والفن على أنها قيم غربية[1]، تتنافر مع أحكام الإسلام.

ويمضى أتباع هذا النظر إلى القول بإن الإرهاب أمر فطرى فى الإسلام وفق هذا النمط يتم توصيف الإسلام كأيدولوجية سياسية معادية للفكر السياسى الغربى، بما يؤكد على بناء صلة ما بين المسلمين وأفكار العنف والإرهاب واحتقار حرمة حياة الإنسان وحقوق المواطنة، ولا سيما المرأة والأقليات.

ومن العناوين التى تكشف عن هذا المشهد:

- المسلمون البريطانيون يرسلون إلى معسكرات تدريب إسلامية.
- إيطاليا تشــدد من الإجراءات الأمنية بعد التحذير بعمل إرهابى إسلامى.
- الرئيس الأمريكى يرأس قمة ضد الإرهاب الإسلامى.
- متعصبون إسلاميون يقتلون بريطانيًا فى إطار حملة إرهابية.
- المسلمون المتطرفون يتحدون الرؤية الأوربية العلمانية للدولة.

وفى ضوء هذا الفكر تبلورت محاور رئيسية للإسلام السياسى، خلال عقد التسعينيات:

أولا: العنف الذى ارتكبته جماعات الاحتجاج السياســى فى الشرق الأوسط مثل حماس فى فلسطين، والجماعة الإسلامية فى مصر، وجبهة الإنقاذ فى الجزائر.

---

(1) Http: //www.islamonlin.net/servelt/satwllite?=Article A_c&cid=//608778451098&pa... 09\11\2008.

ثانيا: الشبكة العالمية للإرهاب الإسلامى الذى اجتاحت موجاته أوربا فى التسعينيات.

ثالثا: الثورة الإيرانية وما تلاها من ممارسات إيرانية داعمة للإرهاب. ومكمن الخطأ فى هذه التغطية أنها تهدف إلى تكوين صورة ذهنية مغلوطة وغير متوازنة، منشؤه إيراد هذه الحوادث منبتة عن سياقها، فهى لا تذكر الأسباب، ولا الظروف والملابسات المحيطة مما يجعل الحدث خارج سياقه التاريخى، Dehistoricise حينما ينظر إلى هذه الأحداث المفرزة للعنف، على أنها جزء من الموروث الإسلامى لا يحتاج إلى تفسير أو أن يوضع فى نسقه التاريخى والسياسى الذى أدى لظهوره، مما يؤدى إلى إلصاقه بالإسلام، وسلوك طريقه كأنه أمر محتم لتحقيق الإسلامى.

٦ - حزب الشعب الدانمركى يطلق حملة ضد ارتداء الحجاب

لم تقتصر الإساءة إلى الرموز الإسلامية على نشر الرسوم الكاريكاتورية الخاصة بالرسول ﷺ ومن إعادة نشر هذه الرسوم، وإنما وردت تصريحات بشأن الحجاب، فيما عبر عنه رئيس الوزراء الدانمركى لا سموسن: فقد أعرب عن تحفظه بشأن ارتداء الحجاب فى قاعات المحاكم، واعتبر ذلك مما فيه مساس بحياد القاضى وتصرفه بنزاهة.

وامتدت حملات التطاول والإساءة إلى بعض المسئولين هناك فها هو سورن اسبرسن المتحدث باسم الحزب الاشراكى الدانمركى، الذى يحتل المرتبة الثالثة بين الأحزاب الدانمركية من حيث عدد المقاعد فى البرلمان يقول: إن الحزب قرر إطلاق حملة ضد ارتداء الحجاب الإسلامى فى المحاكم، بعد الجدل الدائر حاليا حول إمكانية ارتداء القاضيات

الحجاب فى المحاكم واصفا الحجاب بـــ رمز الخضوع والاستبداد «على حد وصفه» وأصدر الحزب ثلاث صفحات فى بيانه تظهر فيه مســلمات يرتديــن ملابس قاضيــات، وكذلك الحجاب الإســلامى، ومصاحف، مذكور على تلك الصفحات، على أساس شريعة البلاد يجب أن تقام[1].

المثير فى هذا الموقف أنه يصدر من مسئول سياسى قد يعتلى السلطة فى انتخابات قادمة، يتعرض فيه لمســاءلة شخصية تتعلق بارتداء الزى الإســلامى بالرغــم من أن الزى حق من الحقوق الشــخصية للإنســان، فضلا عن كونه حقا للمســلمة، ينبغــى ألا ينكر عليها ارتدائها له، كما لم ينكر هذا المســئول ارتداء اليهودى للطاقية على رأسه كما لم ينكر لا هو ولا غيره من المسئولين الغربيين ارتداء النساء لزى فاضح يثير غرائز الشباب، ويدفعهم إلى ارتكاب جرائم التحرش الجنسى أو هتك العرض أو اغتصاب الإناث مما تئن به الحياة الغربية.

ومن ناحية أخرى فإن ارتداء القاضيات المســلمات للحجاب لا يؤثر البتة على اســتقلال المحاكم ولا حيــاد القاضى، ونزاهته، وليس معنى ارتدائه أن القاضية المسلمة ستطبق الشريعة الإسلامية أو تحكم بما جاء فى القرآن الكريم، لأن القاضية المسلمة ستطبق القانون الدانماركى سواء ارتدت الحجــاب أم لم ترتديه. فهذا القول من رئيس الحزب، ينم عن تعصب وتمييز ضد الإسلام، ودعوة إلى كراهية الشريعة والإسلام.

أما الرد على ذلك على أســاس الحاجة والمصلحة، على هذه الدعوة العنصرية التى تكشــف عن تعصب غربى ضد الإســلام فنسوقه مما جاء

(1) Http: //www.nabiaalrahma.com/ar_Details.aspx?page_ID=1843.

على لسان: بيرشه رون هورنبيك وزيرة الاندماج فى الحكومة الدانماركية عن حق المسلمات فى ارتداء الحجاب، وحذرت من التخوف غير المبرر من الدين فى المجتمع الدانماركى.

وأعربت عن تخوفها من أن قانون حظر الحجاب فى الأماكن العامة الذى يدور الحديث عنه فى وسائل الإعلام حاليا، سيكون سببا فى خسارة الدانمرك للعديد من النساء المسلمات المهرة[1].

* * *

(1) Http: //www.taghribnews.com/tmail_ar&mode=artid=23701.